العدول وصوره في القرآن الكريم

Attention and its image in the Noble Qur'an

هشام عطاء الله[1]

كلية العلوم الاسلامية ، جامعة الجزائر 1

hichemattdz@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/01/31 القبول 2022/02/19 النشر على الخط 2022/04/15

Received 31/01/2021 Accepted 19/02/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

إنّ أسلوب الالتفات من أهم الأساليب اللغوية، التي تناولها الباحثون قديماً وحديثاً، وذلك لأهميته، فتناوله البلاغيون من حيث إبراز الأسرار البلاغية، وقد جاءت هذه الدراسة في عدّة مباحث، من بينها إبراز الأغراض البلاغية للالتفات عن الإضمار إلى الإظهار، وممّا توصلت إليه من خلال بحثي هذا:أنّ الالتفات ممّا يعين على فهم كتاب الله تعالى، وأنّ أسلوب الالتفات يفهم بمراعاة السياق، إضافة إلى أنّه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إضافة إلى اقتراح دراسة لإبراز دور الالتفات في إعجاز القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الالتفات؛ الاضمار؛ الإظهار؛ القرآن الكريم.

Abstract:

The method of turning around is one of the most important linguistic methods that researchers have dealt with in the past and present, due to its importance. Rhetoricians dealt with it in terms of highlighting rhetorical secrets. This is: turning around is what helps to understand the Book of God Almighty, and that the method of turning is understood by taking into account the context, in addition to being one of the aspects of the miracle of the Noble Qur'an, in addition to proposing a study to highlight the role of turning in the miracle of the Noble Qur'an.

Keywords: pay attention ؛adenosis ؛ manifestation ؛ the holy quran

[1] المؤلّف المرسل: **هشام عطاء الله** البريد الإلكتروني: **hichemattdz@gmail.com**

1. مقدمة:

إنّ أسلوب الالتفات – على غرار سائر الأساليب اللغوية الأخرى –كان محلّ بحث ودراسة من طرف أهل اللغة قديماً وحديثاً؛ فذكروا أنواعه وصوره، وتناوله علماء البلاغة في باب المعاني وفي باب البيان وحتّى في باب البديع، وبيّنوا مايندرج تحتها من أغراض بلاغية، فاعتمدوا في دراسته على مراعاة السّياق وقرائن الأحوال. إضافة إلى الإشارات اللّغوية للالتفات التي تناولها المفسرّون اللّغويون كالزمخشري وأبي السعود ..... فكانت لهم وقفات مع أسلوب الالتفات في ثنايا كتبهم، وحسب علمي لم يفرده أئمة اللّغة القدامى بالتأليف، وإنّما ذكروه في ثنايا كتبهم، وأفرده مجموعة من الباحثين المعاصرين بالدراسة، فجاءت هذه الدراسة موسومة بـ: " **العدول وصوره في القرآن الكريم**".

2.الالتفات لغة واصطلاحا:

1.2. الالتفات لغة:

جاء في لسان العرب:"التَفَتَ التِفَاتاً، والتّلفُتُ أَكْثُرُ مِنْهُ، وتلفَّتَ إلى الشيء، التفَتَ إليهِ؛ صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ ...لَفَتُّ فُلاناً عنْ رأْيِهِ، أي صرَفْتُهُ عنْهُ، ومِنْها الالتفاتُ ".[1]

وقال ابن فارس:" اللام والفاء والتاء كلمةٌ واحدة تدلُّ على اللَّيِّ وصرف الشيء عن جهتهِ المستقيمةِ. منه لَفَتُّ الشَّيءَ: لوَيْتُه. ولفَتُّ فلاناً عن رأيه: صرفْتُه.... ومنه الالتفات، وهو أن تَعدِل بوجهك".[2]

وفي هذا المعنى يقول ابن الأثير:" وحقيقتهُ مأْخُوذة من التفات الإنسانِ عن يمينهِ وشمالهِ فهو يُقبلُ بوجْهِه تارة كذا وتارة كذا".[3]

هذا وقد ورد لفظ الالتفات في القرآن الكريم في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ سورة هود :81 .

وفسّر أبو السعود الآية بقوله:"أي لا يتخلفْ أو لا ينظُرْ إلى ورائه".[4]

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ سورة يونس: 78.

قال الفراء:"اللّفت الصّرفُ، تقول ما لفتك عن فلان ؟ أي ما صرفك عنه ".[5]

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري:" واللّفت والفتل: أخوان، ومطاوعهما الالتفات والانفتال".[6]

([1]) ابن منظور،لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 2008م)ج2،ص 84.

([2])ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ،ت عبد السلام هارون ،(بيروت: دار الفكر ، 1979 م)،ج5،ص 258.

([3]) ابن الأثير،نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت بدوي طبانة وأحمد الحوفي، (مصر:دار نهضة،2007م)، ج2، ص167.

([4]) أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم،(بيروت:دار إحياء التراث العربي،1411ه)
، ج4،ص229.

([5]) الفراء،يحيى بن زياد،معاني القرآن،ت محمد علي النجار،(مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1983م)
،ج1،ص475.

([6]) الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف، ت خليل مأمون شيحا،(بيروت: دار المعرفة، ط3، 1430ه - 2009م) ،ص470.

وجاء في مفردات الراغب:"لفت: يقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾ أي تصرفنا ومنه التفت فلان إذا عدل عن قبله بوجهه".[1]

قال عبد الرحمن حبنكة الميداني :"هو في اللغة تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضْعٍ آخر".[2]

ممّا سبقَ يُعْلمُ بأنّ مادة لَفَتَ وما تصرّف منها يدل على مطلق العدول والصّرف، وقد يكون العدول في الأقوال و يكون في الأفعال.

2.2. الالتفات اصطلاحاً:

إنّ أول من سمّاه التفاتاً هو الأصمعي، كما جاء في رواية محمد بن يحي الصّولي، قال: قال الأصمعي:" أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: لا، قلت فما هي ؟... ".[3]

أشار الفراء إلى الالتفات بقوله:" ترد يفعل على فعل كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ "[4]" سورة الحج 25. 25.

وقد تعرض أبو عبيدة معمر بن المثنى للالتفات العددي في كتابه فقال:" ومن المجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه، ووقع معنى الواحد على الجميع قال: ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ سورة غافر 67 فِي موضع أطفالا ....ومن المجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد ووقع معنى هذا الجميع على الواحد ، قال: ﴿ الذِينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إِنَّ النَّاس قدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ سورة آل عمران 73 والناس جميع ، وكان الذي قال رجل واحد ....".[5]

وذكره ابن المعتز في كتابه فقال:"هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة ".[6]

وبوب له أسامة ابن منقذ باباً خاصّاً في كتابه، بقوله: باب الانصراف وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الخبر".[7]

ونجد أنّ ابن جني يصفه بقوله :"شجاعة العربية ".[8] وكذلك ابن الأثير[9].

([1]) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ت صفوان عدنان،(دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط4، 1430هـ - 2009م)،ص743.

([2])عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،(دمشق:دار القلم. بيروت: الدار الشامية، ط1، 1416هـ-1996م)،ج1،ص479.

([3]) أبو هلال العسكري ،الصناعتين ،ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،(مصر: مطبعة الحلبي، ط1، 1952م)، ص392.

([4]) الفراء،يحي بن زياد،معاني القرآن، ج2،ص221.

([5]) أبو عبيدة معمر بن المثنى ،مجاز القرآن، بعناية محمد فؤاد سكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي،1954م) ، ج1 ،ص9-10.

([6]) عبد الله بن المعتز البديع ،ت عرفان مطرجي، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ،ط1، 1433هـ -2012م)، ص73.

([7]) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ت أحمد بدوي، وحامد عبد الحميد(القاهرة:مصطفى البابي الحلبي، 1960م). ، ص200.

([8]) ابن جني،أبو الفتح عثمان، الخصائص الكبرى، ت محمد علي النجار، (بيروت: دار الهدى،1952م)، ج2، ص360.

([9]) ابن الأثير،نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2،ص168.

وعليه فقد تطلق مصطلحات عدّة ترجع كلّها إلى معنى الالتفات(الانصراف)، (العدول)، (التلوين).[1]

وفي اصطلاح البلاغيين هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم – والخطاب – والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلاً دون التحوّل عنها[2].

وأضاف السَّكّاكيّ [3] إلى هذا التعريف ما كان على خلاف مقتضى الظاهر، بنقل الكلام بين (الحكاية والخطاب والغيبة)، ونقْلِ ونقْلِ كلّ واحدٍ منها إلى الآخر، وأنّ العرب يستكثرون منه.

3.الالتفات من صيغة إلى أخرى:

الالتفات من صيغة إلى أخرى له عدّة صور منها:

1.3.الصورة الأولى: الالتفات من صيغة الفعل إلى صيغة اسم المفعول. مثاله ماجاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ سورة هود :103

فسّر الزمخشري الآية بقوله:"فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله ؟ قلت لما في اسم المفعول من دلالات على ثبات معنى الجمع لليوم المشهود وأنّه لابد من أن يكون مضروباً بجمع الناس له ". [4]

فجاء الالتفات عن صيغة (يفعل:يجمع) إلى اسم المفعول(مجموع)؛ وذلك للدلالة على ثبوت معنى الجمع لليوم المشهود الموصوف بالجمع.[5]

2.3.الصورة الثانية : الالتفات من صيغة فَعَلَ إلى صيغة تَفْعلُ. مثاله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّة إِنَّ اللّهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴾ سورة الحج63

في الآية الكريمة التفات من الفعل الماضي أصبحت إلى الفعل المضارع تصبح، أشار الزمخشري[6] إلى النكتة والسّر، وهي إفادة بقاء أثر المطر.

3.3.الصورة الثالثة:الالتفات عن صيغة "يَفْعَلُ " إلى صيغة " فَعَلَ"مثاله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ سورة النمل87

في الآية الكريمة التفات من الفعل المضارع (يفزعُ) إلى الفعل الماضي فزِعَ)، وذلك لإفادة تحقّق الفزع وثبوته،وكونه مقوعاً به،[1] كمايُعْلَم هذا من دلالة الفعل الماضي بأنّه يفيد التحقيق.

([1])ينظر: طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،(بيروت: دار النهضة العربية ، إصدارات الجوهرة ، ط1، 1996م)،ص 88 -90.
أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية،(لبنان: مكتبة لبنان، 2007م)،ص173-178.

([2]) عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،ج1،ص479.

([3])السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، ت عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ-2000م)،ص296.

([4]) الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف، ص497.

([5]) طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص147.

([6]) الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف ،ص700. ينظر: يحي العلوي ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ،(مصر: المقتطف ،1333 هـ)،ج2،ص 138-139.

4.الالتفات من جملة إلى جملة:

الالتفات من جملة إلى جملة له عدّة صور منها:

1.4.الصورة الأولى:الالتفات عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية. مثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ سورة سبأ07

وقع العدول من الجملة الفعلية الدّالة على الحدوث مثل (تبعثون) أو(تخلقون خلقاً جديداً) إلى الجملة الإسمية (إنّكُمْ لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيد) للإشباع في الاستبعاد والتعجب. [2]

2.4.الصورة الثانية الالتفات عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، مثاله قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ سورة الأحزاب 44

فقد عدل السّياق عن الجملة الاسمية مثلاً (وأجرهم أجر كريم) أو (ولهم أجراً كريم)، إلى الجملة الفعلية (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) لما في ذلك من المبالغة في الترغيب، والتشويق إلى الوعد ببيان أنّ الأجر هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة، وأنّه موجود بالفعل مهيأ لهم ، فضلاً عمّا حقّقه هذا العدول من الانسجام في مراعاة فواصل الآي. [3]

5.الالتفات العددي:

وله عدة صور منها:

1.5. الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الاثنين:

مثاله ماجاء في قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لتلفِتَنا عَمَّا وجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِيْ الأَرْضِ ﴾ سورة يونس78

يخاطب الله عزوجل موسى عليه السلام، بالضمير المفرد (أجئتنا) ثمّ انتقل إلى التثنية بقوله (لكُمَا)، فجمع الضمير بين موسى وأخوه هارون عليهما السلام.[4]

2.5.الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع: وهو أن يرد في سياق الآية لفظ مفرد ثم ينتقل إلى لفظ بمعنى الجمع[5]، مثاله ماجاء في قوله تعالى: ﴿ياأيّها النّبِي إِذَا طَلَقْتُم النِّسَاءَ﴾ سورة الطلاق 01

فانتقل من خطاب المفرد (النّبي) إلى الجمع (طلّقْتم) و "تخصيصُ النداءِ بهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مع عُمومِ الخطابِ لأمتِهِ أيضاً لتشريفه عليهِ الصلاةُ والسلامُ وإظهارِ جلالةِ منصبِهِ ".[6]

3.5.الالتفات من خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد: مثاله قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ رَبُّكمَا يَا مُوْسَى﴾ سورة طه 49

([1]) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ص792.

([2]) ينظر : أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم ،ج 7،ص122-123. طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص156.

([3]) ينظر : أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم،ج 7،ص107. طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص157.

([4]) ينظر: طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص118.

([5]) ينظر : المرجع نفسه ،ص119.

([6]) أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم، ج6 ،ص335.

في الآية الكريمة انتقل الخطاب من المثنى (ربّكُمَا) إلى خطاب المفرد يا موسى، وكان مقتضى السّياق أن يكون ﴿ فمن ربّكُما يا موسى وهارون ﴾[1] .

4.5.الالتفات من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع: مثاله ماجاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى وَأَخِيْهِ هَارُوْنَ أَنْ تبَوَءَا لِقَوْمِكُمَا بِمصْرَ بُيُوْتاً وَاجْعَلُوا بُيُتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَبشِّرِ المؤْمِنِيْنَ ﴾ سورة يونس 87

في الآية الكريمة انتقل الخطاب من المثنى ﴿مُوْسَى وَأَخِيْهِ هَارُوْنَ أَنْ تبَوَءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ إلى خطاب الجمع ﴿اجْعَلُوا بيوتكُمْ ﴾. وفيه التفات من خطاب الجمع ﴿وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾ إلى خطاب المفرد[2].

وتثنية موسى وهارون لأنّهما اللّذان يقرّران قواعد النّبوة ويحكمان في الشريعة فخصّهما بذلك، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة؛ لأنّ الجميع مأمورون بها، ثم أفرد موسى بالخطاب: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنّه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار[3].

5.5.الالتفات من الجمع إلى الواحد: مثاله قوله تعالى: ﴿وقَضَى ربُّكَ ألَّا تَعْبُدُوا إلّا إيّاهُ وبالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً إمَّا يَبْلُغنّ عِنْدَكَ الكِبَرَ ﴾ سورة الإسراء 23.

في الآية الكريمة انتقل من خطاب الجمع (تَعْبُدُوا) إلى خطاب المفرد (عِنْدَك)، وتوحيدُ ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده ... المقصودَ منه نهيُ كلِّ أحد عن تأفيف والديه ونَهْرِهما ، ولو قوبل الجمعُ بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المرام.[4]

6.5.الالتفات من الجمع إلى التثنية: مثاله قوله تعالى: ﴿ إنّمَا المؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فأصْلِحُوا بين أخويْكُمْ﴾ سورة الحجرات 10

في الآية الكريمة الانتقال من صيغة الجمع (فأصْلِحُوا) إلى صيغة التثنية (أَخَويْكُمْ)[5].

6.الالتفات الضميري :

وللالتفات الضميري عدّة صور منها :

1.6.الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: مثاله قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإيّاك نَسْتَعِيْن﴾ سورة الفاتحة 1-4

في الآية الكريمة عدل من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب [6]في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإيّاك نَسْتَعِيْن﴾.

وأشار ابن جني إل الغرض البلاغي للالتفات في الآية بقوله :"وذلك أنّ الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولاتعبده؛ لأنّ العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية.

فلما كان ذلك استعمل لفظ "الحمد " لتوسطه مع الغيبة، فقال: ﴿ الحمد لله﴾ ولم يقل (لك) ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمر الطاعة، فقال:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مخاطباً بالعبادة إصراحاً بها وتقرباً منه عزَّ منه عزَّ اسمه " .[1]

([1]) ينظر : طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص121.

([2]) ينظر المرجع نفسه ،ص 122-123.

([3]) الزركشي،بدر الدين أبو عبد الله،البرهان في علوم القرآن، ت أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة : دار إحياء التراث، ط3، 1984)، ج3، ص335.

([4]) أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم،ج5،ص166.

([5]) طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص125.

([6]) المرجع نفسه ،ص 96.

2.6.الالتفات من الغيبة إلى التكلم:مثاله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ سورة السجدة09.

في الآية الكريمة الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ التفات، وذلك لكون المخاطبين من أفراد الناس، فالسمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين، فلما انتهض الاستدلال على عظيم القدرة وإتقان المراد من المصنوعات المتحدث عنهم بطريقة الغيبة الشامل للمخاطبين وغيرهم ناسب أن يلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب لأنه آثر بالامتنان وأسعد بما يرد بعده من التعريض بالتوبيخ في قوله: ﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ سورة فاطر09.

قال: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ بلفظ الغيبة ،وقوله﴿ فَسُقْنَاهُ﴾ بلفظ المتكلم؛ لأنّ المقتضى أن يقول: فساقه، ولكنّه عدل إلى التكلّم، وسوق السّحابِ إلى الأرض الميتة فتحيا هو مِنْ قسمة الأرزاقِ، فناسبَ أن ينقل الإسناد إلى ضمير ذي الجلالة سبحانه.[3]

وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ اسْتوَى إِلَى السّمَاءِ وهِيَ دُخَانٌ فَقَال لهَا وللأَرْضِ ائتِيا طَوْعَاً أَوْ كَرْهَاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِيْنَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِيْ يَوْمَيْنِ وَأَوحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيْحَ ﴾ سورة فصلت 11-12

جاء الالتفات في الآية الكريمة من خطاب الغيبة في قصّة خلق السموات والأرض، وهي أخبار غيبية، ثمّ عدل إلى ضمير المتكلّم في قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا السَمَاءَ الدُّنْيا﴾؛ لأنّ السّماء الدّنيا وما فيها من كواكب من أظهر الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة. إضافة إلى الإخبار عن نفسه – عزوجل – بأنّه جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا تكذيباً لمن أنكر ذلك.[4]

3.6.الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: مثاله قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَ ا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيح طَيِّبَةٍ و فَرِحُوا بِهَا جَاءتْهَا رِيْحٌ عَاصِفٌ وجَاءَهُم الموجُ مِنْ كُلّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيْطَ بِهِمْ دَعُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لهُ الدّيْنَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِه لَكُنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴾ سورة يونس 22

في الآية الكريمة الالتفات من أسلوب الخطاب في قوله تعالى:(حَتَّى إِذَ ا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله(بِهِمْ) و(فَرِحُوا)..وما بعده. [5]

وذلك لأنّ الخطاب أولاً كان مع النّاس مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ فلو قال: ﴿ وجرين بكم ﴾ للزم الذّم للجميع فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم. [6]

([1]) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ،ت عبد الحليم النجار ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ،القاهرة ، ط2 ،1406هـ،ج1،ص146.ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ج2،ص170.

([2]) محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج21،ص217.

([3]) محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب،(القاهرة:مكتبة وهبة، ط4، 1416هـ-1996م)،ص255-256.

([4]) ينظر : طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص103.

([5]) ينظر :المرجع السابق ،ص106-107.

([6]) الزركشي،بدر الدين أبو عبد الله،البرهان في علوم القرآن، ج3 ، ص 318.

ويقول الطاهر بن عاشور :"من بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم. وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة؛ لأنّ الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين.

وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز"[1].

ظهر أسلوب الالتفات في الآية الكريمة لما خاطب النّاس جميعهم مؤمنهم وكافرهم استعمل أسلوب الخطاب، ولما تحدّث عن المشركين استعمل ضمير الغيبة وهو المناسب لحالهم ولإفادة التخصيص.

4.6.الالتفات من الخطاب إلى المتكلم: مثاله قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا(72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا ﴾ سورة طه 72-73

في الآية الكريمة الالتفات من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿ فَاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ ﴾ إلى المتكلم في قوله: (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا﴾. [2]

5.6.الالتفات من المتكلم إلى الغيبة: مثاله قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ ياعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) ﴾سورة الزمر 53.

كان مقتضى الظاهر أن يأتي التعبير: لا تقنطوا من رحمتي إنّي أغْفِرُ الذُّنوب جميعاً[3].

فحصل العدول عنه إلى ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ... ﴾ وذلك للدلالة على أنّ من صفات الله مغفرة ذنوب المنيبين إليه.

و قوله تعالى: ﴿إِنّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ(1) فَصَلّ لِرَبّكَ وانْحَرْ(2) ﴾ سورة الكوثر 1-2

الالتفات من المتكلم في قوله تعالى:﴿إِنّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى:﴿فَصَلّ لِرَبّكَ ﴾.

وكان المقتضي أن يقول: فصّل لنا، وفيه إشارة إلى حثه على الصلاة لأنها لربه الذي رعاه ورباه فكأنه يقوي داعي الصلاة بذكر ربّه. [4]

6.6.الالتفات من التكلم إلى الخطاب: مثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة يس 22

فالالتفات واضح من التكلم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

وذلك لما فيه من حثٍّ السامع على الاستماع، حيث أقبل المتكلم عليه وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، الأصل: "وإليه أرجع" فالتفت من التكلم إلى الخطاب فأخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريده لنفسه ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

([1]) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،(تونس:الدار التونسية،19)،ج11،ص135.

([2]) ينظر : طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص111.

([3])عبدالرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،ج1، ص486.

([4]) ينظر: طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، ص113.محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب،ص256.

وأيضا فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه ثم حذرهم بقوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [1].

7.الأغراض البلاغية للالتفات عن الإضمار إلى الإظهار:

من الأغراض البلاغية للعدول عن الإضمار إلى الإظهار مايلي:

1.7.لتربية المهابة: مثاله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) سورة البقرة196

أشار أبو السعود إلى السّر البلاغي للالتفات عن الإضمار الى الإظهار بقوله :"وإظهارُ الاسمِ الجليلِ في موضعِ الإضمارِ لتربية المهابةِ وإدخالِ الرَّوْعة "[2].

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُوْدُ الله فَلَا تَعْدُوهَا و مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظّلِمُون(229) ﴾ سورة البقرة 229

في الآية الكريمة العدول عن ذكر المضمر إلى الاسم الجليل (الله) لتربية المهابة، وإدخال الروعة، إضافة إلى تعقيب النهي بالوعيد للمبالغة غي التهديد.[3]

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة آلعمران159

إنّ مُقْتَضَى الظّاهر يستدعي أن يقال: "فتوكَّلْ عليه إنَّه يحبُّ المتوكلين".

لكن وُضع الاسم المظهر وهو لفظة الجلالة "الله" موضع الضمير لإدخال الروعة والمهابة، نظراً إلى أن لفظ الجلالة يجمع كُلَّ صفات كمال الله عزَّ وجلَّ، باعتباره اسماً علماً للذات العليّة، وما هو اسم علم للذّات يكون جامعاً لكلّ صفات الكمال[4].

2.7 .التعظيم: مثاله قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدَاً ﴾سورةالكهف 83

فأعاد ذكر (الرّب) لما فيه من التعظيم والهضم للخصم [5].

وقوله تعالى:﴿ الحَاقَّةُ (1) مَا الحاقَّةُ(2) ﴾ سورة الحاقة 1-2 ،وقوله:﴿القارِعَةُ (1) مَا القَارِعة (2) ﴾ سورة القارعة 1-2.

عدل عنْ ذكر الضمير (هي) بذكر لفظة الحاقّة من الآية الثانية بتقدير الكلام (ماهي)، لما فيه من التفخيم والتعظيم، وكذلك العدول بذكر لفظةالقارعة،[6] وهما اسمان ليوم القيامة.

3.7 .العموم :مثاله قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَة اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ سورة الكهف 77

([1]) ينظر المصدر السابق ،ج 3،ص315. محمد محمد أبو موسى ،خصائص التركيب، ص251.

([2]) أبو السعود، محمود بن محمد العمادي،إرشاد العقل السليم،ج1،ص207.

([3]) طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ، ص139.

([4]) عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1،ص506.

([5]) الزركشي،بدر الدين أبو عبد الله،البرهان في علوم القرآن،ج2، ص485.

([6]) المصدر نفسه،ج2، ص486.

ولم يقل: اسْتَطْعمهم وذلك لتأكيد العموم وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا استطعماه وأبى، ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء. [1]

4.7. التهويل: مثاله قوله تعالى: ﴿ وَيَقُوْلُونَ هُوَ مِنْ عِنِد الله وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ الله ﴾ آل عمران78

في الآية الكريمة العدول عن الإضمار إلى إظهار الاسم الجليل لتهويل ما أقدموا عليه من القول. [2]

5.7. التعليل: مثاله قوله تعالى: ﴿ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ﴾ سورة الروم 06

في الآية الكريمة آثر السّياق الإظهار في قوله تعالى:﴿لَا يُخْلِفُ اللهُ﴾ على إضمار الاسم الجليل للتعليل والتفخيم. [3]

6.7.الذم والتقبيح: مثاله قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ سورة هود 95.

في الآية الكريمة العدولُ عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدلَّ على طغيانهم الذي أدّاهم إلى هذه المرتبةِ وليكون أنسبَ بمن شُبّه هلاكُهم بهلاكهم (ثمود).[4]

7.7. الإهانة والتحقير: مثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة النور 21

في الآية الكريمة العدول عن الإضمار إلى الإظهار في لفظة (الشَّيْطَانِ) في الموضع الثاني أفاد الدلالة على الإهانة والتحقير. [5]

كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ سورة المجادلة 19 تكرّر لفظة (الشيطان) ثلاث مرات، وذلك للتحقير[6].

8.7. الخصوص: مثاله قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ سورة الأحزاب 50

في الآية الكريمة عدول عن الضمير إلى الظاهر، في لفظة (لِلنَّبِيِّ) وفي لفظة (أَرَادَ النَّبِيُّ)، وذلك للدلالة على الخصوصية بالنبي صلى الله عليم وسلم دون غيره. [7]

وأكّد الحكم بالخصوصية [8].بعدها بقوله : ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُوْنِ المؤْمِنِيْنَ﴾.

9.7.الايضاح:في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾سورة الروم41

([1]) المصدر نفسه ،ج2 ،ص494-495.

([2]) طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص142.

([3]) المرجع نفسه ،ص143.

([4]) أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم،ج4،ص 238.

([5]) طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ،ص145.

([6])عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم،(الكويت:مجلة الوعي الإسلامي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،2012م)،ص37.

([7]) المرجع نفسه ،ص146.

([8])عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم،ص51.

في لفظ الناس من قوله: ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ إظهار في مقام الإضمار لزيادة إيضاح المقصود، ومقتضى الظاهر أن يقال "بما كسبت أيديهم"[1] .

8. خاتمة:

يمكن أن ألخصّ النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا في النقاط الآتية:

- أنّ الالتفات من الأساليب اللّغوية التي كانت محل دراسة وبحث من قبل علماء اللغة قديما وحديثاً.
- إنّ الالتفات في القرآن الكريم لا يأتي إلّا لفائدة وغرض بلاغي.
- أنّ الوقوف على أسرار الالتفات ممّا يعين على فهم كتاب الله تعالى.
- إنّ للسّياق وقرائن الأحوال دوراً هامّاً في كشف أغراضِ الالتفات في القرآن الكريم.
- إنّ تنوع صور وأنواع الالتفات يُعَدُّ من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

لذا فأقترح دراسة تُفردُ للالتفات وأثره في إعجاز القرآن الكريم.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم من رواية حفص.

1/ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، (لبنان: مكتبة لبنان، 2007م).

2/ أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ت أحمد بدوي، وحامد عبد الحميد(القاهرة: الحلبي، 1960م).

3/ابن الأثير،نصر الله بن محمد المثل السائر، ت بدوي طبانة وأحمد الحوفي، (مصر:دار نهضة،2007م).

4/ ابن جني،أبو الفتح عثمان، الخصائص الكبرى، ت محمد علي النجار، (بيروت: دار الهدى،1952م).

5/ ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، ت عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي (القاهرة:المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،1415هـ-1994م).

6/الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ت صفوان عدنان،(دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط4، 1430هـ -2009م).

7/ الزركشي،بدر الدين أبو عبد الله،البرهان في علوم القرآن، ت أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة:دار إحياء التراث،ط3، 1984م).

8 /الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف، ت خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة ، ط3، 1430هـ - 2009م).

10/أبو السعود،محمود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم،(بيروت:دار إحياء التراث العربي،1411هـ).

11/السكاكي،يوسف بن محمد،مفتاح العلوم،ت عبد الحميد الهنداوي،(بيروت:دار الكتب العلمية، ط1420،1هـ-2000م).

12/طالب محمد الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني، (بيروت: دار النهضة العربية، إصدارات الجوهرة، ط1، 1996م).

[1] ( ) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج21،ص109.

13/عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربيةأسسها علومها وفنونها،(دمشق:دار القلم.بيروت: الدار الشامية، 1416هـ-1996م).

14/ عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم،(الكويت:مجلة الوعي الإسلامي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،2012م).

15/ عبد الله بن المعتز، البديع، ت عرفان مطرجي (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1433هـ -2012م).

16/أبو عبيدة معمر بن المثنى ،مجاز القرآن، بعناية محمد فؤاد سكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي،1954م).

17/ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، 1979م).

18 /الفراء،يحي بن زياد،معاني القرآن،ت محمد علي النجار،(مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1983م).

19/محمد الطاهر بن عاشور،التحريروالتنوير،(تونس:الدار التونسية،1984م).

20/محمد محمد أبوموسى، خصائص التراكيب،(القاهرة: مكتبة وهبة، ط1416،4هـ-1996م).

21/ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 2008م).

22/أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر:مطبعة الحلبي، ط1، 1952م).

23 /يحي العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، (مصر: المقتطف،1333 هـ).